ذكر عنهم انهم لا يتزوجون النساء ويتركون كثيرا من شهوات الدنيا
ليتوصلوا بذلك الى نيل الرياسة على اتباعهم فينقادون لهم ويتبعوهم
ويتخذوهم اربابا من دون الله وهذه هي دنياهم التي زينت لهم فاذا
راوا من ليس على طريقتهم من اهل ملتهم سخروا بهم واستحقروهم ولا
شك انهم من اهل الايمان واعظم سخريا واستحقارا الانهم يشاهدونهم
غير منقادين لما امروا ونهوا عنه فاذا انزل الامر الاخر على هولاء
الكفار المخصوصين يقوله على مذهب ارباب الاعتبار وبالحقيقة وامر
من معنى ما ذكرناه الناس من المسلمين فقليل عليهم بجنوح النفس وهكذا
بين المشتغلين اذا علم واحد منهم مسئلة او صلى ركعة او ترك لقمة او حبة
واستشعر بعلمه ذلك حصول مكانة ووجاهة عند الناس مع ما يريد
بذلك من الفوز والنجاة في الدار الاخرة راى في نفسه عظمة وحقروا لا نطا
فيه بصفة الكمال عنده وهذه هي دنياه التي زينت له فاذا راى احد
ان عامة الناس مشتغلا بطلب الدنيا بطلا لاعما نشتغل به هو من
التنطع او التعبد او التقى هو سخر هو به واستخف مع ان هذا العامي مومن
من بالله عز وجل وعلامة ايمانه خوفه على نفسه واحتقارها ودينه
انه هالك وغيره ناج ويرى ان هذا العالم والعابد والزاهد قد فازوا
فوزا عظيما وان شاء الله تعالى خير من ملء الارض من مثله اي هذا العامي
ومعلوم انه اذا كان يوم القيمة يكون ذلك الرجل المتقي في النار اعلى
التقوى والخوف والحزن وجبل بينه وبين دعاوى النفس ووساوس
العدو بوقاية قوية لا يصل بسببها اليه من بغض ولا من بغي فيكون هذا
العالم او العابد او الزاهد الا نكشف له حجاب جهله وبان له سوء
عاقبة جهله والله يرزق من يشاء بغير حساب اي يرزقه الرزق
الحقيقي وهو رزق الاخرة من يشاء اي من يريد من غير ان يكون له ذلك
موجبا او عملا اذا نوقش فيه طاحه وهو سبب عليه صار هباء منثورا جلا
بجانب

بجانب هذا المرزوق ولا يطالبه بما عسى حاله بايمانه ويقينه وكذلك
يسلك هذا المسلك في قوله تعالى ان الذين اجرموا اي اتوا بالجرم العظيم
وهو التعرض لمنازعة الربوبية بالتكبر على الناس والتعظيم عليهم بما انعم
به من علم او عمل او زهد كانوا من الذين امنوا بالله تعالى اعلانا بساحته
من غير تكلف دليل لا كنه خال من التشبيه والتمثيل وهذا هو حال عامة
الناس اذ اراهم متشاغلين بطلب المعاش من وجهه يضمون الدرهم الى
الدرهم والحبة الى الحبة ليصونوا بذلك وجوههم عن المسئلة ويستروا
به الستر ابر المعضلة يضحكون منهم ويسخرون بهم مع انهم متمتعون بصفات
كمال لا يشق لهم فيها غبار كما تعلوه في الاية الاخرى ثم يشتمل هذا المنهج
في تمام تفسير هذه الاية قوله تعالى واذا تتلى عليهم اي على هولاء الذين
يتكبرون بعلومهم واعمالهم اياتنا بينات في حال كونها بينات لا يخفى ما
فيها من المواعظ والنواهي والزواجر عن تلك الاحوال الردية التي اتصفوا بها حيل
بينهم وبين فهمها ولم يعلق بقلوبهم شيء منها سامرا عن اي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق بما علمهم من اذى ويخرج من اضرى ويقولون على
الهم المتسمى من النساء هو الشاعر فيقولون للذين امنوا اكثرا ولكثرا وكم
اهلكنا من قبلهم من قرن كانوا على مذهبهم وسلكوا على اثرهم هم احسن
اثاثا ورئيا اي اكثر علوما واعمالا لما فاقت نشاهم بالعدل واحرمناهم المر والفضل
جعلنا ذلك كله هباء ولم يجنوا من ثمرة اعمالهم الا شقاء وعناء ثم صيرناهم
عبرة للمعتبرين ومثلا للاخرين كما فعلنا بابليس وبلعام وبمن ضيعوا له ابطال
ينكلم على تلك الايات بما هو اعلى من هذا كله على طريقة ارباب الاشارات
فيقول قوله تعالى زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اي الذين كفروا بنعمة الله تعالى
عليهم بالايمان الذي هو مقتضاه ان كل شيء هالك الا وجهه وان كل ما خلا
الله باطل الحيوة الدنيا اي الشهوة والحسبانات التي يتصفون بتزكيتها
ويستنطقون باثارها وهو توهمهم ان منهم فعلا او جعلا وهذه دنياهم

Copyright © King Saud University